العدد الثالث والعشرون
2006

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1374 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2006 مسيحي

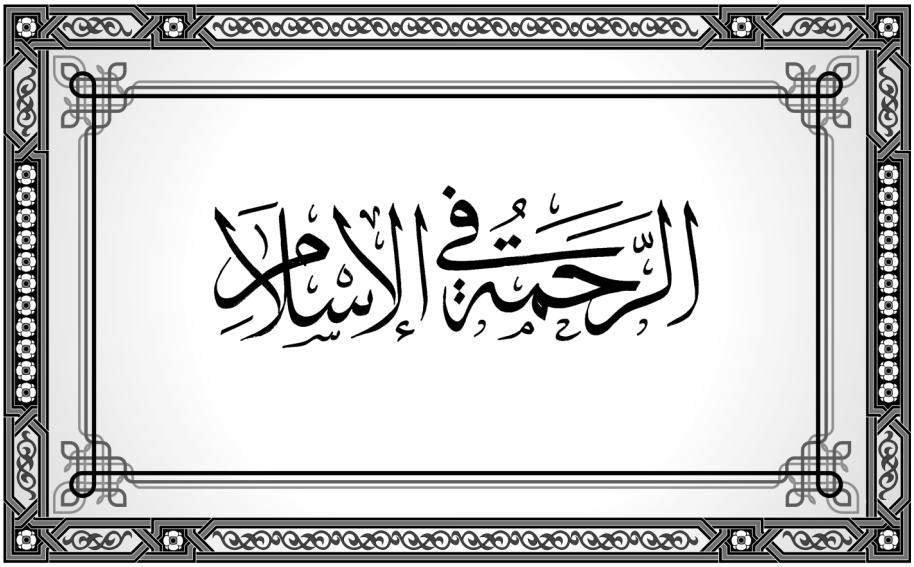

أ. أشرف شعبان أبو أحمد
وابور المياه - باب شرق الإسكندرية - مصر

لقد كان الدعاء بالرحمة قاسماً مشتركاً بين جميع الأنبياء والرسل، بل وبين جميع الخلق منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا وإلى قيام الساعة. دعا بها آدم وحواء ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1]. ودعا بها سيدنا نوح ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2]. ودعا بها سيدنا يونس ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]. ودعا بها سيدنا موسى ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[4]. ودعا بها سليمان ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5]. ودعا

(1) سورة الأعراف، الآية: 23.
(2) سورة هود، الآية: 47.
(3) سورة يونس، الآية: 86.
(4) سورة الأعراف، الآية: 155.
(5) سورة النمل، الآية: 19.

بها أصحاب الكهف ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[6]. والدعاء بالرحمة على لسان رسولنا الكريم يتكرر بأساليب مختلفة؛ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[7] ومن أدعيته عليه الصلاة والسلام المأثورة «**اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**» رواه أبو داود باسناد جيد وقوله: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) أخرجه النسائي والحاكم وصححه الطبراني بإسناد صحيح. وبها يدعو المؤمنون ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[8] و﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[9].

والرحمة هي الرقة والتعطف أي رقة القلب وعطفه. ومن الرحمة يشتق الرحمن والرحيم وهما من أبرز أسماء الله الحسنى واشهرها بعد لفظ الجلالة (الله)؛ وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في جميع فواتح السور (بسم الله الرحمن الرحيم) ما عدا سورة التوبة التي نزلت دون البسملة، كما ذكر اسم الرحمن واسم الرحيم منفصلين في كثير من الآيات القرآنية، والمصلي يردد هذين الاسمين في صلاته المكتوبة ما لا يقل عن أربع وثلاثين مرة في اليوم فهو كلما أدى ركعة قرأ فاتحة الكتاب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهي سبع عشرة ركعة في الصلوات الخمس المفروضة على المسلم في يومه، فإذا أدى السنن زاد في ذلك...[10].

والرحمن أخص من الرحيم وأكثر مبالغة منه ولذلك لا يسمى به غير الله تعالى قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[11] وقال الرسول ﷺ قال تعالى: «**أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن**

---

(6) سورة الكهف، الآية: 10.
(7) سورة المؤمنون، الآية: 118.
(8) سورة البقرة، الآية: 286.
(9) سورة آل عمران، الآية: 8.
(10) كتاب الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوي ص287 ـ 288.
(11) سورة الإسراء، الآية: 10.

قطعها قطعته» رواه الترمذي. ومعناه ذو الرحمة لا نظير له فيها وهي أبعد من مقدورات العباد، ورحمة الرحمن تعم العالمين مؤمنهم وكافرهم، صالحهم وطالحهم، بارِّهم وفاجرهم؛ أي تعم الخلق جميعاً، ورحمة الرحيم تخص المؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[12] وقيل الرحمن من ستر في الدنيا والرحيم من غفر في العقبى، وقال عبد الله بن المبارك (الرحمن) إذا سئل أعطى و(الرحيم) إذا لم يسأل غضب، وقال السدي (الرحمن) يكشف الكروب و(الرحيم) يغفر الذنوب[13].

والرحمة هي قاعدة قضاء الله تعالى في خلقه، تشملهم وتحيطهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، قال تعالى في سورة النور: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقد كتبها الله على نفسه قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[14] وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «**لما قضى الله الخلق «وعند مسلم لما خلق الله الخلق» كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقتْ غضبي**» وعند البخاري في رواية أخرى (إن رحمتي غلبت غضبي) وإنه لفضل عظيم من الله أن يجعل رحمة لعباده مكتوبة عليه، وكتبها هو على نفسه وجعلها عهداً منه لعباده، كما أن إخباره لعباده بما كتبه على نفسه من رحمته والعناية بإبلاغهم بهذه الحقيقة وعلمهم بها، هي تفضل آخر من الله عز وجل حيث تبعث الاطمئنان في كل ما يمر بالمؤمن من ابتلاءات بأنها ليست تخلياً من الله عز وجل عنه أو طرده جل شأنه من رحمته وإنما تخفي وراءها الخير كله للمؤمن، كما أنها تضفي الثقة في أن كل زلة للمسلم سيغفرها الله إن شاء برحمته فلا ييأس أو يقنط من ذنوبه بل يجدد توبته ويزيد من استغفاره ليعود إلى سالف عهده.

ولبيان ولتمثيل حجم الرحمة التي كتبها الله على نفسه، فلنعلم أن جميع أشكال وصور الرحمة التي تعيش في كنفها جميع المخلوقات منذ بدء الخليقة

---

(12) سورة الأحزاب، الآية: 43.

(13) المختصر من معاني أسماء الله الحسنى محمود سامي ص14.

(14) سورة الأنعام، الأية: 54.

وحتى يومنا هذا وستستمر إلى يوم القيامة؛ ماهي إلا جزء واحد فقط من مائة جزء، قال رسول الله ﷺ «**جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض منها جزءاً واحداً فمن ذلك تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**» أخرجه الشيخان، وأخرج مسلم قول رسول الله ﷺ «**إن لله مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة**» كما قال عليه الصلاة والسلام «**إن الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة واحدة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها الله تعالى بهذه الرحمة**» ورحمة الله سبحانه وتعالى بجميع خلقه أوسع وأشمل وأكبر من أن تحدد أو يحصيها عدد ولا نهاية لها، ويعجز الإنسان من مجرد ملاحقتها وتسجيلها قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[15] ورحمة الله تفيض على عباده جميعاً وتسعهم جميعاً وبها يقوم وجودهم وتقوم حياتهم وهي تتجلى في كل لحظة من لحظات الوجود أو لحظات الحياة للكائنات، وفي حياة البشر خاصة فلا نملك أن نتابعها في كل مواضعها ومظاهرها ولكننا سنذكر منها لمحات في مجالاتها الكبيرة.

إنها تتجلى ابتداء في وجود البشرية ذاته، في نشأتهم من حيث لا يعلمون وفي إعطائهم هذا الوجود الإنساني الكريم بكل ما فيه من خصائص فُضِّلَ بها الإنسان على كثير من العالمين. وتتلجى في هدايتهم إلى الإيمان، بإرسال الرسل إليهم، بالهدى كلما نسوا أو ضلوا، وأنزل معهم الكتب السماوية، فالقرآن الكريم رحمة قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[16] وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[17] ففي القرآن رحمة لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان فأشرقت وتفتحت لتتلقى ما في القرآن من روح وطمأنينة وأمان، فيه شفاء من داء

(15) سورة الأعراف، الآية: 156.
(16) سورة النحل، الآية: 89.
(17) سورة الإسراء، الآية: 83.

الوسوسة ومرض القلق ونصب الحيرة، فهو يصل القلب بالله فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن، ويرضى فيستروح الرضى من الله والرضى عن الحياة، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين، وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزعات الشيطان وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب وتدفع به إلى التحطم والبلى والانهيار، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين، وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلّةِ في الشعور والتفكير فهو يعصم العقل من الشطط ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدي ويأخذه بمنهج سليم مضبوط، يجعل نشاطه منتجاً ومأموناً ويعصمه من الشطط والزلل، وكذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كبت ولا شطط فيحفظه سليماً معافى ويدَّخِرُ طاقته للإنتاج المثمر ومن ثم هو رحمة للمؤمنين، وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة ومن ثم فهو رحمة للمؤمنين. . .

كما أن الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[18] وقال صلى الله عليه وسلم «**إنما أنا رحمة مهداه**» كما وصفه ربه بها، وقد كانت هذه الصفة هي المهيمنة على سلوكه فقال جل شأنه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[19] بل أكد رب العاملين أن فضيلة الرحمة التي برزت في سلوكِ النبيِّ عليْه الصلاة والسلام كانت وراء النجاح العظيم الذي حققه في ميدان الدعوة إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[20] فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم فجعلته عليه الصلاة والسلام رحيماً بهم، لينا معهم، ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت

(18) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(19) سورة التوبة، الآية: 128.

(20) سورة آل عمران، الآية: 159.

حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر؛ فالناس محتاجون إلى كنف رحيم وإلى رعايةٍ فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحِلْم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج إلى عطاء، يحمل همومهم ولا يعنِّيهم بهمِّةٍ ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ولا احتجز لنفسِهِ شيئاً من أعراض هذه الحياة بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمته... وما أحوجنا نحن المسلمين إلى داعيةٍ وإمام يتصف بصفات رسول الله ﷺ فيستحق رحمة الله فتلين له قلوب العباد ويلتفون حوله ليعيدوا للإسلام ازدهاره وللمسلمين مجدهم قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(21).

وتتجلى رحمة الله بعباده في القضاء على الفرق والاختلافات بين الناس والتفافهم حول جماعة واحدة وفرقة واحدة، قال تعالى في سورة هود الآيات 118 ـ 119 ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ وقال رسول الله ﷺ فيما رواه ابن ماجه «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار. وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيدِهِ لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار**» قيل يا رسول الله من هم؟ قال: «**الجماعة**» وكثرة الاختلافات بين الناس وتنوع مذاهبهم وتعدد عقائدهم وآرائهم وخضوعها للأهواء والمصالح الشخصية وإسلامها تارة للشرق وتارة للغرب، وتعصب كل فرد لرأيه يعادي به ويقاتل من أجله كل مخالف له، هو نذير عدم رحمة من الله، خاصة إذا كانت هذه الفرق داخل

(21) سورة الأحزاب، الآية: 21.

الصف المسلم، بينما يَصِحُّ تعدد الآراء واختلافها إن كانت جميعها تنبع من معتقد واحد ويبتغىٰ بها وجه الله وتهدف مصلحةَ الجماعة ولا تؤدي إلى تفتيت وحدتها.

وتتجلى الرحمة الإلهية في قاعدة التكليف قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[22] تشير الآية الكريمة إلى رحمة الله وعدله في التكاليف التي يفرضها على المسلم أثناء خلافته على هذه الأرض، فهي في وسعه وعلى قدر طاقته، فمهما يقعْ على عاتقه من متاعب وأهوال فلا يضِقْ بها صدراً ولا يستثقلها ولا يفر منها لأنها تعد استكشافاً لطاقات كامنة داخله لم يكتشفها من قبل، إذا ما آمن وأيقن أن ما كلف به على قدر طاقته وأن الذي فرضها عليه هو أعلم بحقيقة طاقته، ولو لم تكن في طاقته ما فرضها عليه ومن شأن هذا التصور فضلاً عما يسكبه في القلب من راحة وطمأنينة وأنس، أن يستجيش عزيمة المؤمن للنهوض بتكاليفه، وهو يحس أنها داخله في طوقه، ولو لم تكن داخله في طوقه لما كتبها الله عليه، فإذا ضعف مرة أو تعب مرة أو تقل العبء عليه، أدرك أنه الضعف لا فداحةُ العبء! واستجاش عزيمته ونفض الضعف عن نفسه وهم همة جديدة للوفاء، ما دام داخلاً في مقدوره! وهو إيحاء كريم لاستنهاض الهمة كلما ضعفت على طول الطريق! فهي التربية كذلك لروح وهمته المؤمِنِ وإرادته فوق تزويد تصوره بحقيقة إرادة الله في كل ما يكلفه...

وتتجلى رحمة الله في النفس الناهية عن السوء التي تقف حائلاً دون ارتكاب المعاصي والآثام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[23] فهذه النفس الحية التي توقظ صاحبها من الغفلة، وتذكره بالله وتثبت في نفسه دائماً الخوف منه، والإيمان بحسابه وعقابه في الدنيا والآخرة، فتنهى صاحبها عن السوء، بل وتدفعه جرياً إلى الاستغفار والتوبةِ، هي رحمة من الله عز وجل، وابتداء فَسَدُّ أبواب الرذيلة والوقاية من الوقوع في المعاصي وصرف

(22) سورة البقرة، الآية: 286.

(23) سورة يوسف، الآية: 53.

القلوب والجوارح عنِ الآثام وتوجيهها إلى الله من أجلِّ مظاهر رحمة الله، ومن رحمته بعباده أنه جلّ وعلا نهى من عظمت ذنوبهم منهم وكثرت، عن اليأس من رحمته قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾(24) كما تتجلى رحمته تعالى في التجاوز عن سيئاتنا إذا عمل أحدنا السوء بجهالة تم تاب، وفي المجازاة عن السيئة بمثلها ومجازاته على الحسنة بعشر أمثالها والمضاعفة عن ذلك لم يشاء، ومحو السيئة بالحسنة، وفي تأخير العقاب إلى يوم القيامة قال تعالى في سورة فاطر آية 45: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ ويوم القيامة لا يبلغ أحد أن يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته حتى رسول الله كما قال عن نفسه، فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ «**لا يدخل أحدكم الجنة بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدنيَ الله برحمته**».

وتتجلى رحمة الله في النجاة من المهالك والتي لا ينتجى منها مهما اتخذ من الأسباب إلا برحمة من الله، قال تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام في سورة هود آية 42 ـ 43: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ*قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ لقد اتخذ ابن سيدنا نوح من الأسباب ما يظن أنها تنجيه من أمر الله، فاعتقد أن الطوفان لا يبلغ رؤوس الجبال وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق، ولكن سيدنا نوحاً وهو المدرك لحقيقة هذا الأمر يخبره بأنْ لا جبال ولا مخابئ ولا حاميَ ولا واقيَ ولا غيرها من الأسباب تنجي من أمر الله إلا من شملته رحمة الله بالعناية والحماية وما أكثر المهالك التي تحيط بنا وتغمرنا من رأسنا حتى أخمض قدمنا، وما هناك أدنى بصيص في النجاة منها ما لم تشملنا رحمة الله. ورحمة الله وجدها سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما ألقاه الكفار في النار فجعلها الله برداً وسلاماً عليه، ووجدها

(24) سورة الزمر، الآية: 53.

يوسف عليه السلام في الجب، كما وجدها في السجن، ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت ووجدها موسى عليه السلام في اليمِّ وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حراسة، كما وجدها في قصر فرعون وهو عدو له متربص به ويبحث عنه، وجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور، ووجدها الرسول ﷺ وسلم وصاحبه في الغار والقوم يتعقبونهما ويقصون آثارهما، وبرحمة الله نجى سيدنا هوداً وصالحاً وإبراهيم وشعيباً ويونس من مكائد قومهم التي دبرت للإطاحة بهم وجهض دعواتهم.

وتتمثل رحمة الله في الشفاء من الأمراض مهما اشتدت وطأتها، وبات البُرْءُ منها ميؤوساً، وضرب لنا القرآن مثلاً بسيدنا أيوب فقد كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير وأولاد كثيرة، فابتليَ في ذلك كله وذهب عن آخره ثم ابتلي في جسده يقال بالجذام في سائر بدنه ولم يبق منه سليماً سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى عافه الجليس وأفرد في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجتِهِ كانت تقوم بأمره في وفاء قلما ما نجد مثله في أيامنا هذه، ويقال إنها احتاجت فصارت تخدم الناس، فتجلت رحمة الله عليه فشفي من الأمراض، بل وعوض عمّا فقده قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[25].

وتتجلى رحمة الله في رزق كل زوجين بالأبناء، وتبدو مظاهر تجليها أكثر فيما إذا كان هذا الرزق لشيخ كبير ولزوجة عقيم وهو الذي نعتبره نحن البشر فوق العادة أو غير المألوف، فسيدنا زكريا هذا الشيخ العجوز وزوجته العاقر التي لا تلد قد وهب الله لها يحيى، قال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا

(25) سورة الأنبياء، الآيات: 83 ـ 84.

نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[26] فلا يستسْلم عديمو الإنجاب للقوانين البشرية المحدودة المعرفة ولا ييأسوا أبداً مهما طال بهم العمر بل فليلجؤوا إلى المولى عز وجل مستنجدين برحمته.

كما أن المكتشفات العلمية والمنشآت البنائية إنما هي بنت كل عصر ومعجزته هي صورة من صور رحمة الله، وهكذا كان بناء ذي القرنين للسد المانع يأجوج ومأجوج من الفساد والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى في سورة الكهف الآيات 94 ـ 98: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا*قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا*ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا*فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا*قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ وفي هذا العصر وأعداء الإسلام يحيطون به من كل جانب لا يهدأ لهم بال ولا يهنأ لهم حال حتى يجدوا كل وسيلة أحدث وأكفأ من سابقتها للفتك بنا، ولن ينفذنا منهم إلا رحمة الله تقدر لنا بناء تجهيزات تحمينا من أسلحتهم، بل والرد عليهم الصاع صاعين.

وتتجلى رحمة الله في كل ما سخر الله لنا من حولنا ومن فوقنا ومن تحتنا مما نعلمه ومما لا نعلمه من آيات ونعم وهي كثيرة لا تحصى منها على سبيل المثال لا الحصر: الليل النهار، القمر النجوم الكواكب، المطر الرياح البحار الأنهار، النباتات الحيوانات الأراضي الزراعية والصحراوية، المال البنون، . . .إلخ وإن كان وجود كل هذه النعم وكل هذه المسخرات وكل هذه المتع في حد ذاته نعمة، لكن إن لم تشملها وتحفها وتحطها رحمة الله فإنها تتحول من نعمة إلى نقمة، فما من نعمة يمسك الله عنها رحمته إلاّ وتنقلب هي بذاتها نقمة، وما من محنة تحفها رحمة الله حتى تكون هي بذاتها نعمة، ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هي مهاد وينام على الحرير وقد أمسكت عنه فإذا هو شوك القتاد، ويعالج أعسر الأمور برحمة الله فإذا هي هوادة ويسر،

(26) سورة مريم، الآيات: 1 ـ 7.

ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت رحمة الله فإذا هي مشقة وعسر، ويخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار، ولا ضيق مع رحمة الله إنما الضيق في إمساكها دون سواه، لا ضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجن أو في جحيم العذاب أو في شعاب الهلاك، ولا سعة مع إمساكها ولو تقلب الناس في أعطاف النعيم وفي مراتع الرخاء، فمن داخل النفس برحمة الله تنفجر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة، ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكد والمعاناة. هذا الباب وحده يفتح وتغلق جميع الأبواب وتوصد جميع النوافذ وتسد جميع المسالك فلا عليك فهو الفرج والفسحة واليسر والرخاء، وهذا الباب وحده يغلق وتفتح الأبواب والنوافذ والمسالك فما هو بنافع وهو الضيق والكرب والشدة والقلق والعناء. هذا الفيض يفتح ثم يضيق الرزق ويضيق السكن العيش وتخشن الحياة ويشوك المضجع فلا عليك فهو الرخاء والراحة والطمأنينة والسعادة، وهذا الفيض يمسك الرزق ويقبل كل شيء فلا جدوى، وإنما هو الضنك والحرج والشقاوة والبلاء. المال والولد والصحة والقوة والجاه والسلطان تصبح مصادر قلق وتعب ونكد وجهد إذا أمسكت عنها رحمة الله، فإذا فتح الله أبواب رحمته كان فيها السكن والراحة والسعادة والاطمئنان. يبسط الله الرزق مع رحمته فإذا هو متاع طيب ورخاء وإذا هو رغد في الدنيا وزاد إلى الآخرة، ويمسك رحمته فإذا هو مثار قلق وخوف وإذا هو مثار حسد وبغض، وقد يكون معه الحرمان، ببخل أو مرض، وقد يكون معه التلف بإفراط أو استهتار. ويمنح الله الذرية مع رحمته فإذا هي زينة في الحياة ومصدر فرح واستمتاع ومضاعفة للأجر في الآخر بالخلف الصالح الذي يذكر الله،ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وعنت وشقاء وسهر بالليل وتعب بالنهار. ويهب الله الصحة والقوة مع رحمته فإذا هي نعمة وحياة طيبة وتلذذ بالحياة ويمسك رحمته فإذا الصحة والقوة بلاء يسلطه الله على الصحيح القوي فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ويدخر السوء ليوم الحساب. ويعطي الله السلطان والجاه مع رحمته فإذا هي أداة إصلاح ومصدر أمن ووسيلة لادخار الطيب

الصالح من العمل والأثر. ويمسك الله رحمته فإذا الجاه والسلطان مصدر قلق على قوتهما ومصدر طغيان وبغي بهما ومثار حقد وموجدة على صاحبهما لا يقر معهما قرار ولا يستمتع بجاه ولا سلطان ويدخر بهما للآخرة رصيداً ضخماً من النار. والعلم الغزير والعمر الطويل والمقام الطيب كلها تتغير وتتبدل من حال إلى حال مع الإمساك ومع الإرسال لرحمة الله، قليل من المعرفة يثمر وينفع وقليل من العمر يباركُهُ الله، فيه زهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة. والجماعات كالآحاد والأمم كالأفراد في كل أمر وفي كل وضع وفي كل حال ولا يصعب القياس على هذه الأمثال... وهكذا تتعدد وتتباين صور رحمة الله التي يكتبها لمن يشاء ويخص بها من عباده من يشاء.

ورحمة الله أكبر من أن يتفهمها البشر ما لم يحطهم الله عز وجل ببيانها لهم، فهذا هو سيدنا نبي بني إسرائيل يتعجب ويستغرب لأفعال قام بها سيدنا الخضر عند خرقه للسفينة وقتله للغلام وإقامته للجدار، ولكن سيدنا الخضر الذي قال فيه ربنا عز وجل في سورة الكهف آية 65: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ كان أعلمَ بها ولذا فهو يرد على سيدنا موسى بقوله إن الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة السابقة إنما هي رحمة من الله، قال تعالى في سورة الكهف الآيات 79 ـ 82: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا*وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا*فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا*وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ فهناك كثير من الأمور قد يندهش أو ينزعج لظاهرها أي إنسان ولكنها تمثل في باطنها رحمة من الله. كما إن هناك كثيراً من البشر من يتغير حالهم إذا من الله عليهم برحمته أو امسكها عنهم ابتلاء لهم، ومنهم من يؤولها على غير وجهها قال تعالى في سورة الروم آية 33: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ وقال الله تعالى في سورة الروم

آية 36 ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾.

ورحمة الله خير من أي متعة، أو من أي منفعة، من متاع أو منافع هذه الدنيا الزائلة، قال تعالى في سورة الزخرف آية 32: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي أن رحمة الله بخلقه لهم مما بأيديهم من أموال ونفائس وكنوز وبنين ونساء وأنعام أو غيرها من متع الحياة الدنيا، ولذلك فخير دعاء من الأبناء للأبوين علمه لنا الإسلام جزاء تربيتهما بكل ما فيها من إيثار للأبناء على نفسيهما والسهر من أجل راحتهم بل والجوع والتعرية من أجل إشباعهم وكسوتهم لم يكن الدعاء مقابل ذلك أن يعوضهما الله مالاً أو صحة بل كان بطلب الرحمة لهما قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[27] فرحمة الله أوسع ورعاية الله أشمل وجناب الله أرحب من أي نعمة أخرى.

وهناك جملة من الأمور والتكليفات التي إذا تحققت في نفس الفرد وترجمتها جوارحه إلى أفعال ولسانه إلى أقوال استحق بها رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة؛ منها الإيمان ورسوله والتمسك بالقرآن والسنة والعمل بها فيهما والطاعة التامة لكل أحكامهما وتقوى الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعمل الصالحات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلح بين الناس والصبر على المصائب وولاية المؤمنين والجهاد في سبيل الله والهجرة لله ولرسوله وسماع القرآن والإنصات إليه وتدبر معانيه وكثرة الاستغفار وتجديد التوبة وعبادة الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك قال تعالى في سورة التوبة آية 71 ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقال عز وجل في سورة البقرة آية 218: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقال جلَّ وعلا في سورة الأعراف آية 56 ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾وقال في سورة الجاثية آية

(27) سورة الإسراء، الآية: 24.

30: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۖ﴾ وقال في سورة الحديد آية 28: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ وقال في سورة النمل آية 46 ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ وقال في سورة البقرة آية 155 ـ 157 ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ وقال في سورة الأعراف آية 204: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[28] وقال الرسول ﷺ «**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» رواه أبو داود والترمذي، وقال: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**» رواه البخاري ومسلم وأحمد «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» وقال: «**من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء**» رواه الطبراني. أما الذين ليس لهم نصيب من رحمة الله فهم الذين قال عنهم القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[29] وقال تعالى في سورة الحجر آية 56 ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ وقال الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي وأبو داود وغيرهم «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**» فقد حكم عليه الصلاة والسلام على العارين من الرحمة بأنهم هم الأشقياء.

فالرحمة من معالم الإيمان وسمة من سماته وأثر من آثاره، ذلك الإيمان الذي يرقُّ بنفحاته القلوب الغليظة والأفئدة القاسية، فهذا عمر بن الخطاب وقد كان معروفاً بالشدة والقسوة في جاهليته حتى إنه وأد بنتا له، قد فجر الإيمان ينابيع الرحمة والرقة في قلبه حتى إنه لما ولي إمارة المؤمنين كان يرى نفسه مسؤولاً أمام الله عن بغلة تعثر بأقصى البلدان، وقد غلب هذا الخلق على أعمال المسلمين الأولين ووضح آثاره في سلوكهم حتى مع الأعداء المحاربين فنجد

(28) سورة الحجرات، الآية: 10.

(29) سورة العنكبوت، الآية: 23.

رسول الإسلام يغضب حين مر في إحدى غزواته فوجد امرأة مقتولةً فقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**» وينهى عن قتل النساء والشيوخ والصبيان ومن لا مشاركة له في القتال. ويسير أصحابه على نفس النهج أبراراً رحماء لا فجاراً قساة، فهذا أبو بكر يودع جيش أسامة بن زيد ويوصيهم قائلاً لا تقتلوا امرأة ولا شيخاً ولا طفلاً ولا تعقروا نخلاً ولا تقطعوا شجرة مثمرة وستجدون رجالاً فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما أفرغوا أنفسهم له، ويقول عمر اتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب ويحمل إلى أبي بكر رأس مقتول من كبراء الأعداء المحاربين فيستنكر هذا العمل ويعلن سخطه عليه ويقول لمن جاءه بالرأس لا يحمل إلي رأس بعد اليوم فقيل له إنهم يفعلون بنا ذلك فقال فاستنان «أي اقتداء» بفارس والروم؟! وقد لاحظ ذلك الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون فقال: ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب. . .[30]

ولم يكتف الإسلام ببيان صور الرحمة الإلهية وآثارها أو بيان صفات المستحقين لها وإن كان هذا يكفي ليتعظ ويعتبر الإنسان ويعكف على بحث سبل الاهتداء إليها بل أمر الإسلام بإشاعة جو الرحمة في المجتمع قال تعالى في سورة البلد آية 117: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ فالتواصي بالمرحمة أمر زائد على الرحمة، إنه إشاعةُ الشعور بواجب التراحم في صفوف الجماعة عن طريق التواصي به والتحاض عليه واتخاذه واجباً جماعياً وفردياً في الوقت ذاته، يتعارف عليه الجميع ويتعاون عليه الجميع. . . والمؤمنون أتباع سيدنا ونبينا محمد ﷺ والذين يسيرون على هداه ووفق سنته متراحمون فيما بينهم يعطف بعضهم على بعض ويواسي كل منهم أخاه؛ فمشاعرهم متلاقية وأحاسيسهم تنبض بالتعاون والتساند والتعاطف والتآلف، لا مكان للقسوة بين قلوبهم ولا تظهر الشدة أو الغلظة في محيطهم إلا مع أعدائهم من الكفار قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[31] وقال: ﷺ «**مثل المؤمنين في توادِّهم**

(30) كتاب الإيمان والحياة يوسف القرضاوي ص290 ـ 291.

(31) سورة الفتح، الآية: 29.

وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم. والمؤمن مأمور بأن يكون له حظ ونصيب من أسماء الله الحسنى يتخلق بها في سلوكياته وحظ العبد من اسم (الرحمن) أن يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإيذاء وأن يرى كل معصية تجري في العالم معصيةً له في نفسه فلا يدخر جهداً في إزالتها بقدر وسعه، رحمة لذلك العاصي من أن يتعرض لسخط الله تعالى، وحظ من اسم (الرحيم) ألا يدع فاقةً لمحتاج إلى ويسدها بقدر طاقته ولا يترك فقيراً في جواره أو في بلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره إما بماله أو جاهه أو بالشفاعة إلى غيره؛ فإن عجز عن جميع ذلك فعليه بالدعاء وإظهار الحزن رقة عليه وعطفاً حتى كأنه مساهم له في دفعِ ضره وحاجته. . .[32]

فالرحمة تأبى على صاحبها أن يعكف على ملذاتِهِ ومسراته وأن يتمتع بثروته وقد علم بجانبه مريضاً حرمه المرض لذة الحياة، أو جائعاً حرمه الجوع لذة المنام، أو منكوباً أصابته الأيام أو يتيماً أو أرملة فرق بينها وبين عائلتها القدر، والرحمة تحمل صاحبها على أن يتألم لآلام الناس ويبكي لبكائهم، فإذا رأى فقيراً أحسَّ بآلام فقره وأثقال بؤسه وإذا رأى منكوباً تأثر بوطأة نكبته، والرحمة تحمل صاحبها على أن يخفف الويلات ويمسح العبرات ويكافح آلالام ويدفع الأحزان ويحنو على الضعفاء والمنكوبين كما تحنو الأم الحنون على أبنائها؛ يقول المنفلوطي: لو تراحم الناس ما كان بينهم جائع ولا عريان ولا مظلوم ولاستقرت الدموع في المدامع واطمأنت الجنوب في المضاجع ومحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو الصبح ظلام الليل. . .[33] ورحمة المؤمن لا تقتصر على إخوانه المؤمنين وإن كان دافع الإيمان المشترك يجعلهم أولىٰ الناس بها وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعاً وقد قال رسول الله

(32) كتاب الإيمان والحياة يوسف القرضاوي ص288 ـ 289.

(33) مجلة المجاهد ـ مصرية العدد 132 جمادى الآخر 1411هـ ديسمبر 1990م.

ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم فيما رواه الطبراني «**لن تؤمنوا حتى ترحموا قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة**» إلاَّ أنَّ هناك أقواماً مخصوصين ينبغي أن يحظوا بأضعاف من الرحمة والرعايةِ وهم الآباء والأبناء والأقارب والأيتام والمرضى وذوو العاهات، حتى الحيوان لم يسكت الإسلام عن طلب الرحمة له وقد أعلن النبي ﷺ لأصحابه أن الجنة فتحت أبوابها لبغيٍّ سقت كلباً فغفر الله لها. وإن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. فإذا كان هذا عقابَ من حبس هرة بغير ذنب، فماذا يكون الذين يحبسون عشرات الألوف من بني الإنسان بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله؟ وقال رجل: يا رسول الله إني لأرحم الشاةَ أن أذبحها فقال: «**إن رحمتها رحمك الله**» الحاكم، ورأى عمر رجلاً يسحب شاةً برجلها ليذبحها فقال له: ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً، ويروي المؤرخون أن عمرو بن العاص في فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه أي خيمته فاتخذت من أعلاه عشاً وحين أراد عمرو الرحيل رآها فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه فتركه، وتكاثر العمران من حوله فكانت مدينة الفسطاط، ويروي ابن الحكم في سيرة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة، وأنه كتب إلى صاحب السكك ألا يحملوا أحدها بلجام ثقيل، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة، وكتب إلى واليه بمصر: إنه بلغني أن بمصر إبلاء نقالاتٍ يحمل على البعير منها ألف رطل فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل. . .[34]

ورحمة الإنسان بنفسه تكون بالوقوف بها عند ما أمر الله بِهِ والانتهاء عما نهى عنه فلا يوردها موارد الهلاك ولا يكلفها من العمل ما لا يطاق وأن يزكيها فلا يظلمها فمن ظلم نفسه كانَ كمن ظلم غيره على حد سواء، وألا تذل رقبته إلا لله وألاّ يركع لأحد سواه، وتظل الرحمة مع المسلم في كل خطاه سمة مميزة لشخصيته لا تنفك عنها قلباً وقالباً لكل أقواله وكل أفعاله، ومنهجاً لحياته وقاعدة لسلوكياته

(34) كتاب الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوي ص289 ـ 290.

في يومه وليلته، تحكم علاقاته مع من حوله، فإنَّ غيابها عن سلوكه يعني فساد سعيه وضلاله وغلبة الشقاء عليه، فقد جعلها الله تبارك وتعالى سنة من سنن الحياة ودعامةٍ لاستمرارها وبدونها لن تقوم للحياة قائمة ولن يستطيع البشر النهوض بما خلقوا له من رسالة، فهي سياج للأمن والأمان في المجتمع. . .[35]

وهي سر حياة هذه الأمة وبدونها تفقد مقومات قيامها، فالصفات الطيبة الحميدة التي على المسلم أن يتحلى بها ويتصف بها في تعامله مع أخيه المسلم تجدها تنمو وتزدهر وتنتشر في جو من الرحمة والألفة، والعكس بالعكس إذا قامَ الجفاء والشدة في التعامل انفتح المجال للصفات غير الحميدة، وقد حض الإسلام على نشر أشعة الرحمة بين أركان المجتمع المسلم لتدفئة كل فرد من أفراده والتي كلما قويت واتسع مداها شملتنا الرحمة الإلهية والتي نحن في أمس الحاجة إليها.

(35) مجلة المجاهد ـ مصرية العدد 132 جمادى الآخر 1411هـ ديسمبر 1990م.